وبعضهم في القوّة ولكني لم ارَ بينهم مَن جمع بين المهارة والقوة مثل حضرة علي بك المذكور وقد اخبرني حضرة عزتلو صبري بك رئيس الحكمة عن علي بك انهُ طالب ثورًا كبيرًا من البقر وشارط ان يقطعهُ قطعتين بضربةٍ واحدة فلم يوجد من بشارطهُ على ذلك لان كل الذين شاهدوا فعالهُ الخارقة يؤكدون انهُ يقطعهُ . ولا يخفى ان مَن رُزِق مثل هذه القدرة والمهارة جديرٌ بالالتفات والترقية وهذا ممّا يرجّح ان فعالهُ لم تبلغ مسامع ولي النعم سموّ خديوينا المعظم الذي يسرهُ وجود مثالهِ بين خدمهِ الامناء ولا يغفل عن الالتفات اليهم ومكافأتهم على براعتهم واجتهادهم شأن الاب في سهرهِ على بنيهِ او الوليّ في عنايتهِ بمواليهِ

نقولا شحاده

وكيل المقتطف واللطائف العمومي

في القطر المصري

تَخِذْتُهُ دَوَاءً فَكَانَ دَاءً

لجناب الدكتور نقولا افندي فرطيب في الجيش المصري

ان غرضي من هذه المقالة ان ابيّن للقرّاء من غير الاطباء كيف يصير الدواء داء ولماذا يحجر الاطباء استعمال الادوية على العامّة ولماذا يلام العامة اذا تغافلوا عن امراضهم او عالجوها دون ان يستشيروا خبيرًا فيها مستشهدًا على ذلك بمعلومات وعقائد تقادم عهدها وشاع استعمالها بين العامّة مع تنديد الاطباء ببعضها وتحذيرهم الناس منها فاقول

كلما زاد الانسان علمًا بتركيب بدنهِ ووظائف اعضائهِ والاعراض التي تعرض لهُ فتخرج بتلك الوظائف عن حالتها الطبيعية والوسائط التي تزيل تلك الاعراض وترجع بالوظائف الى حالتها الاصلية زاد ثقةً بان الاطباء يحاولون ان يسيروا في صناعتهم على هدًى وان لا يعالجوا الجسم الاَّ بالنظر الى ما يوافق لازالة العلة والرجوع الى الصحة . والاطباء وان كانوا لا يزالون يجهلون الشيء الكثير من اسباب الامراض والعلل وخواص الادوية والعقاقير وكيفية تأثيرها اي فعلها النسيواوجي في الجسد لكنهم قد عرفوا من هذه الامور ما سبقوا بهِ العامّة باشواط طويلة ومسافات شاسعة بعيدةً . فهم يرَون ما لا يراهُ العامة وبالتالي يحكمون اصدق من حكمهم . وقد تبيّن لهم بعد البحث المستطيل ان لكل عقار من العقاقير خواص تميزهُ عن غيرهِ فيؤثر في الجسم تأثيرًا مخصوصًا فيستعملونهُ عند اللزوم لحدوث ذلك التأثير كاستعمال المسهل مثلاً لاحداث الاسهال والمعرّق لزيادة افراز العرق والمنبّهِ لاحداث القيء والمبرّد لخفض درجة الحرارة وهلمَّ جرًّا . ومع ان كل عقار يعطى لاجل تأثيرهِ في الجسد فكثيرًا ما يحدث انهُ يعطى ولا يؤثر التأثير

المطلوب فالممهل لا يحدث اسهالاً ولا المحرّق عرقاً وهكذا. ويكون ذلك في الغالب لعوارض أخرى عرضت على الجسم فابطلت تاثير ذلك العقار فيه وقد يكون لسبب خصوصي في بنية الجسم نفسه لان العقاقير لا تؤثر في كل الناس على السواء. وهذا امر كليّ الاعتبار وملاحظته واجبة دائماً ولذلك تجد الاطباء لا يتغافلون عنه بل يحثون دائماً عن الاسباب المضادّة لتأثير الدواء لتلافيها بما يزيلها. غير ان ذلك عسر وقد يتعذّر على مهرة الاطباء فما قولك اذا فوّض امرهُ الى العامّة الذين لا معرفة لهم ولا اختبار بهذه الامور. ولهذا لا يخلي الاطباء اذا منعوا غيرهم من وصف الادوية بانفسهم لانفسهم. لانهُ على فرض ان تلك الادوية لم تضرّ بهم ضرراً ظاهراً في الحال فهي لا تخلو من الضرر غالباً اذ كل ما يدخل المعدة يضرّ ان لم ينفع دواء كان او طعاماً او نحوها بتثقيلهِ على المعدة وتكليفهِ اياها هضم ما لا فائدة منهُ

وزد على ذلك ان اكثر العامة لا يعرفون خواص الادوية. فربما اعطوا المسكّن حيث يلزم المنبّه والمبرّد حيث يلزم محكمهُ وقد يعطون السم وهم يحسبونهُ دسماً كما سيأتي معنا. ولذلك يكون الاسلم منهم عن استعمال الادوية بانفسهم لانفسهم حذراً من عواقب جهلهم لاستعمالها. بل لا يحسن ان تترك بين ايديهم ولو لم يجهلوا خواصها لانهم على الاغلب يجهلون كيفيها الصالحة لان يتداوى بها فقد يزيدون الجرعة حتى تقتل من يأخذها ولو وُصفت على حقها لجاءتهُ بالشفاء وهذا امرٌ كثيراً ما يقع لسهو العاملين بضررهِ فكيف اذا تولاهُ من يجهل ضررهُ. فلذلك ونحوهِ من الاسباب التي يخشى من عواقبها على الناس يحكم الاطباء بلزوم تخصيص وصف الادوية واستعمالها بمن تعلم الصناعة وعرف اصولها واطّلع على اسرارها وبوجوب ملامة العامّة على تعاطيهم لامور ينقلب النفع منها ضرًّا بين ايديهم والخير شرًّا

على انهُ لطول عهد استعمال العامة للادوية ولكثرة الدعاوي التي يدّعيها البعض عن فعل أكحالهم وجودة قطراتهم وقوة معجونهم وغير ذلك تجد ان اقوال الاطباء لا يعبأ بها عند كثيرين من اهالي القرى والارياف بل المدن التي انتشرت فيها العلوم والمعارف وتجد الناس يتراكضون الى ادويتهم عند حدوث العوارض والله يعلم كم الذين يسرعون منهم بعدها الى حتفهم. انظر الى الاطفال الذين لا تزال اعضاؤهم لطيفة وابدانهم شديدة التأثر بالعوارض وقوّتهم عاجزة عن دفعها والتغلّب عليها ولذلك يجب تمام الاعتناء لازالتها بالوسائط الشفائية المناسبة. تجد ان امهاتهم كثيراً ما يعجلن بموتهم او اذيتهم وهنّ يعنين راحتهم. فالطفل اذا اعتلّ لم يستطع ان ينام (وكيف ينام العليل) وكثيراً ما يكون الارق اي قلة النوم علتهُ. وفي الحالين متى تعبت الوالدة من السهر على ولدها وثقل النعاس على جفنيها وهو مستيقظ تعمد الى الدواء الذي تظن ان فيهِ

الراحة لولدها ولنفسها فتسقيهِ الدواء المنوّم المشهور في برّ مصر بابي النوم وفي برّ الشام بالخشخاش وهو سم نافع كثيرًا ما اتكل الوالدات باولادهنّ . فتناول الأُمّ ولدها السم وهي تظن انهُ الدسم. ولكثرة حوادث التسمم التي حصلت للاطفال من هذا العقار لا تجد طبيبًا الاّ يحذّر منهُ وينهى عن استعمالهِ والوالدات يضعنَ في الآذان وقرًا فلا يسمعنَ تنبيهًا ولا تحذيرًا فصح فيهنّ قول القائل

لقد اسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياةَ لمن تنادي

ومن الادوية التي كثر استعمال العامّة لها حتى اساءوا استعمالها المسهلات فكثيرًا ما تجد ان الانسان اذا شعر بانحراف في مزاجهِ تناول مسهلاً ثم ان لم يشعر باعتدال المزاج بعد يومين او ثلاثة تناول آخر وآخر حتى انهُ ربما تناول بضعة مساهل في ايام قليلة دون ان تحسّن حالتهُ او تأتيهُ بفائدة . بل قد تزداد معدتهُ ارتباكًا وانحرافًا او تعتاد على المساهل فلا تقضي وظائفها بدونها اولا تعود تتأثر منها . وربّ اشتدّت بهِ الحال يعرض نفسهُ على الطبيب ويقول ايها الحكيم "تخذتُ المسهل دواء فكان داء" فيقول الطبيب لا عجب لان ما يوضع في غير محلهِ لا يبقى على فعلهِ فالعدل في غير محلهِ ظلم والكرم في غير محلهِ وخيم والدواء في غير محلهِ داء

ووضع النّدى في موضع السيف في العدى مضرٌّ كوضع السيف في موضع النّدى

ثم يفرغ الطبيب جهدهُ ليردّ الطبيعة الى اصل اعتدالها وكثيرًا ما تضيق بهِ الحيل عن ذلك ولو رأى العليل قبل ان طوّح بنفسهِ فربما شفاهُ بواسطةٍ من ابسط الوسائط مثل الحمْيَة عن مأكول او مشروب او الرياضة او نحو ذلك من الوسائط الصحيّة المعروفة بالوسائط الهجينيّة . ومما يزيد الطين بلّةً ان البعض يأخذون للاسهال حبوبًا حاوية اشكالاً والوانًا من المسهلات كالصبر والحنظل والزئبق وقثاء الحمار ونحوها مما هو شديد الضرر اذا طال استعمالهُ ولا يصفهُ الاطباء الاّ في احوالٍ مخصوصة معلومة عندهم

ومن العلاجات القديمة الاستعمال بين اهل المشرق الكيّ بالنار وهو لا يفيد الاّ في احوالٍ مخصوصة حيث لا يخشى معهُ من الضرر . ولو اقتصر استعمال العامة لهُ على تلك الاحوال لأصابوا وحقّ لهم ان يتوبوا مناب الاطباء ولكنهم ينظرون الى عليلين يشكوان شكوى واحدة او متقاربة وقد كُوي احدهما بالنار فشفي إما من تأثير الكي او من سببٍ آخر فيكوون الآخر بالقياس على الاول ظانين انهُ يشفى مثلهُ بواسطة الكي او ان لم يشفَ بهِ فلا يضرّ منهُ . وقياسهم هذا فاسد من وجهين الاول انهُ لو فرضنا ان الشخصين كانا مريضين مرضًا واحدًا فاذا لم يضرّ الكيّ بالنار احدهما فربما اضر الآخر لاختلاف مزاجهِ عن الاول او لشدة ضعفهِ ونحو ذلك. فلا يجوز الكي الاّ بعد ما يرى العليلَ طبيبٌ يستقصي عن مزاج العليل واحوالهِ قدر الامكان ويحكم بجواز الكي .

والذاني وهو الاهمّ انك اذا شكا الطبيبان شكوى واحدة او متقاربة لم يلزم ان يكون مرضها كليهما من نوع واحد . وقد فات العامّة ان تشخيص الامراض من اصعب الامور التي قد تخفى حتى على امهر الاطباء المجربين فكيف على من لا خبرة له . خذ الحمّى التيفوسية والصفراوية والتيفويديّة والقرمزيّة والمتصلة والمتقطرة فهذه كلها لها عرضان عامّان وهما ارتفاع درجة الحرارة وتكسّر البدن وكل عليل يحمّى من تلك الحميّات يشكو من الحرارة والتكسّر وهذان هما العرضان اللذان ينتبه اليهما العامّة واما بقية الاعراض فلا يعرفها الاّ الطبيب وبها يميّز حمّى عن أخرى . فلو جرينا على قياس العامّة في الكي بالنار او في علاج امراض أخرى كثيرة للزم ان نعالج كل تلك الحميات علاجًا واحدًا . وهي نتيجة فسادها اوضح من ان يبيّن

وقد قلّ استعمال الكي كثيرًا بين الاطباء في هذه الايام للاستغناء عنه بعلاجات ألطف منه واسهل في اكثر الاحيان . وياحبّذا لو عرف العامة صالحهم فكفّوا عن تعذيب اولئك المساكين الذين يكفيهم ما يصيبهم من الامراض العصبيّة وامراض العيون دون ان يزيدوهم عذاب النار على عذابهم ولو دروا الحقيقة لعلموا ان حرّاقة صغيرة قد تغني عن احرّ سم يكوون به

ومن جملة العلاجات السهلة الاستعمال على العامّة استفراغ الدم بانواعه من الفصد والتشريط (التشبيط) والعلق (الدود) . وكان استفراغ الدم كثير الشيوع قديمًا ولكن الاطباء اظهروا اضراره جليًا بحيث لم يعد يسع العاقل الانكار ولذلك قلّ استعماله كثيرًا . اذ لا يخفى ان صحة الجسم تتوقف على تمام تغذيه وغذاؤه انما يستمدّ من الدم فاذا قلّ الدم عمّا يلزم للغذاء ادّى الى اعتلال الجسم وضعفه . ولذلك لا يجوز استفراغ الدم في الطب الاّ متى اوجبت الضرورة ومسّت الحاجة الشديدة اليه . واما العوامّ فاطلاق الدم من اهون الامور عليهم فيجودون به لاقل داعٍ دون ان يستشيروا طبيبًا او ينظروا في الضعف الذي يعقب ذلك . بل كثيرًا ما تسمعهم ينددون بطب هذا الزمان واطباء هذه الايام لانهم لا يشيرون باستفراغ الدم . واذا مات عليلٌ قالوا قد قتله دمه وجهلُ الطبيب الذي اتّبع طب الافرنج ولم يتعلّم طب بلادنا كأن الطب في الدنيا طبّان افرنجيّ وغير افرنجيّ الى غير ذلك من الاقوال المبنيّة على جهل الحقيقة والتعصّب الأعمى

واوسط انواع الاستفراغ الدموي قد يكون اعظمها ضررًا كالاستفراغ الموضعي بالتشريط او العلق فهذا لا اسهل منه على العامة فلا يخافونه ولا يرون ادنى لزوم لاستشارة الطبيب فيه ومع ذلك فقد يجرّون به الموت الاحمر على انفسهم كما يحدث في الحمرة مثلاً التي تهيج وتشتدّ متى كانت جرحيّة وتلطف وتهجع متى كانت ذاتيّة (غير جرحيّة) فكثيرًا ما اتفق ان انسانًا أصيب

حمرة ذاتية خفيفة فرأى ذووهُ ان يعالجوهُ بالتشريط لازالة الورم فكانت النتيجة ان الحمرة تحولت من ذاتية الى جرحيَّة وقتلت المصاب بها فاتخذوا التشريط دواء شافيًا فكان داء قاتلاً . وللعامة في الفصد مذاهب شتى قلما يخلو مذهب منها من الضرر . واضرارهُ متفاوتة بتفاوت كمية الدم المستفرغة . وعندهم ان الفصد في اماكن مختلفة من الجسد يأتي بنتائج مختلفة ولذلك ترى بعضهم يفصد من وريد في قفا اليد فوق المختصر وآخر من الساعد وآخر من الوريد الصدغي وآخر من فرع من الاوردة المتوزعة على ظهر القدم الى غير ذلك مما لا طائل تحتهُ ولم يكن اصلهُ الاَّ ترهات الباطل تناقلتها السنة العوام على تمادي الايام

ومن العقاقير الشائعة بين العوام حشائش كثيرة اخصُّها "العشبة" وهي النبت المسمَّى في الطب سرسپرلاَّ (Sarsaparilla) وهم ينسبون اليها افعالاً عجيبة ويروون عنها الخوارق كانها دواء كل داء وترياق كل سمّ . ولذلك يستعملونها في ما تفيد الهُ وما لا تفيد الهُ من الامراض ولشدَّة اعتمادهم بها يبقون العليل اربعين يومًا تحت فعلها ولا يطعمونهُ الاَّ الفليل ولا يسقونهُ غير منقوعها . فان كان العليل من طويلي الاعمار نجا منها والاَّ مات وهو يشتهي شربةً من الماء القراح ليروي بها ظمأهُ ولا يعطاها . ولما كانت العشبة هذه مستعملة عند الاطباء كان الواجب على العامَّة ان يقتدوا بهم في استعمالها اذ هم أدرى بخواصِّها الطبية والامراض التي يصحُّ استعمالها فيها ولو كان لها ما يعتقدهُ العامَّة فيها من النفع حقيقةً لما استعاضوا عنها بغيرها ولا تركوا فوائدها . ويكفيني ذكر العشبة من بين النباتات اذ لو شئت استيفاء ذكر ما يتداوى بهِ العامة من النبات تملأت بذلك الصفحات الكثار على غير طائل

ومما لا يليق التغاضي عن ذكرهِ من علاجاتهم القطرات والاكحال وهي كثيرة جدًّا وقد شاعت بين العامَّة اخذًا عن المغاربة والدجَّالين الذين يمكرون بالعامة ويخدعونهم بمجاراتهم لهم على عقولهم فيوهمونهم بانهم في طبقة الانبياء والاولياء لا الاطباء وان ادويتهم تشفي كل داء عياء لا يقبل الشفاء فيصدقهم الساذجون ويشترون ادويتهم بغالي الاثمان . وهم متى قبضوا الدراهم فرُّوا من بلدةٍ الى أُخرى خوف العواقب لان قطراتهم وكحولهم إما ان لا تفيد واما ان تضرّ وهو الغالب فكم من عيونٍ رمدت بقطرات الدجالين وأُخرى عميت بكحول المغاربة هذا ناهيك عن القطرات الكثيرة المصنوع بعضها من الرصاص وبعضها من الشب ومن مواد أُخرى تؤذي البصر السليم فضلاً عن السقيم وكثير منها مجهول التركيب ومنسوب الى صانعيهِ مثل قطرة النورية وكحل بيت ابي غزالة المشهور باعياء العيون ورشوش الفوَّال ونحوها مما يتراكض اليهِ العوام لشترى السنام

هذا ولو شئت ان اعدّد كل الادوية التي يستعملها العامة لغير فائدة او اساءوا استعمالها فصارت تضرّ لاستغرق ذلك مجلدًا ضخمًا فحسبي ما ذكرت . ولاتمام الفائدة اذكر الآن الفرق بين الوسائط الصحية التي يجب على العامة العلم والعمل بها والوسائط الطبية التي يجب ان يتركوا العمل بها للاطباء ولو علموها

كل الوسائط التي يعالج بها الجسم لبقائه على صحته او لرجوعه الى الصحة بعد اعتلاله إمّا وسائط طبية تستعمل فيها العقاقير والادوية شربًا او دهنًا او دلكًا او حقنًا او نحو ذلك وتعمل فيها الاعمال الجراحيّة مثل الفصد والكي ونحوهما والغاية من هذه الوسائط ارجاع الجسم الى الصحة بعد الاعتلال غالبًا . وإمّا وسائط هيجينية اي وسائط صحيّة يقصد بها حفظ صحة الجسم قبل وقوعه في المرض او راحته ومساعدته على الشفاء بعد وقوعه فيه . فالوسائط الأولى التي سمّيتها بالطبيّة يلزم ان تُخصّ بالاطباء وان يجتنبها الجمهور بقدر ما تسمح لهم الاحوال لان ذلك اسلم لهم. واما الوسائط الصحية فهي التي يطلب من الجمهور حفظها والانتباه اليها والعمل بها وهي كثيرة وُضع فيها علم قائم برأسه وقد استحسنت ان الخص منه النصائح التالية

اولاً للصحيح

(١) اجتنب الامراض واحذر المخاطر ولا تلقِ بنفسك الى التهلكة

(٢) لا تشتغل اكثر من طاقتك يبقَ جسدك قويًا

(٣) لا تطاوع شهوات نفسك ولا تحمل معدتك فوق طاقتها

(٤) حافظ على العفاف والآداب والفضائل فتسلم من الامراض الخبيثة

(٥) احذر المسكر لئلاّ تخسر عقلك وتضعف نسلك بعدك جسدًا وعقلاً وادبًا

(٦) نم باكرًا فتريح جسمك وانهض باكرًا فتنعشهُ

(٧) النظافة من الايمان فحافظ عليها يبقَ جسدك نشيطًا سريع الامتصاص والافراز

وثانيًا للعليل

(١) اطلب للعليل المناخ الحسن الجاف والهواء النقي من الاقذار والشوائب والماء الصحيح

(٢) اجعل غرفة العليل واسعة قابلة الاثاث طلقة الهواء وافتح كل نوافذها صباحًا ليتجدّد هواؤها

(٣) ابقِ لباس العليل نظيفًا على الدوام وغيّرهُ بعد كل نوبة عرق وليكن خفيفًا واسعًا مناسبًا للفصل الذي هو فيه

(٤) اعتنِ تمام الاعتناء بطعامه ليكون مناسبًا لحالة مرضه . وأفضل الطعام له ما كان

قليل الكمية كثير الغذاء سهل الهضم

(٥) يجب ان يروّض المريض رياضة موافقة لمرضه فان كان من الامراض الحادة الثقيلة يحصر في الفراش بالراحة الكلية واذا كان مرضًا مزمنًا ولا يستدعي الحصر فينتضي تروبضهُ اما مشيًا ان كان قادرًا عليهِ او في عربية او ركبًا تبعًا للاحوال

(٦) لمعاشرة المريض وكينية مداراتهِ تأثير عظيم في حالهِ من الصحة او المرض ولذلك يجب ان يعتنى بها جيدًا والعاقل يختار لمريضهِ ممرّضًا وعشيرًا من مشربهِ وذوقهِ لتخفيف مصابهِ

(٧) يجب منع المؤثرات والمهيجات عن العليل اي كل ما يهيج عواطفهُ ويؤثر في نفسهِ تأثيرًا شديدًا مثل الخوف والغضب والفرح الشديد والكدر والغم ونحوها من انفعالات النفس ولذلك يحسن ابعادهُ عن الناس قدر الامكان

غذاء الاجسام وعناصر الغذاء

النبذة الثانية في عناصر الطعام ومركباتها

بيّنا في الجزء الماضي اشهر المركبات التي يركّب منها جسد الانسان والعناصر التي تحتويها هذه المركبات ومرادنا الآن ان نبيّن المركبات التي يتركب منها غذاء الانسان وبها قيام حياتهِ

اذا نظرنا الى اصناف الطعام نجد اولاً انها مؤلفة من مواد تؤكل كاللحم واللبن ومواد لا تؤكل او نادرًا كالعظم والقشر. والمواد التي توكل مؤلفة من ماء وغذاء. ومركبات الغذاء المعتمد عليها في تغذية الاجسام هي البروتاين والادهان والكربوهيدرانات والمواد المجادية. فالبروتاين يطلق على زلال البيض وجبن اللبن وهبر اللحم والمادّة الغروية التي في الحنطة والغراء الذي في العظام والمواد المسمّاة خلاصيّات وقد مرّ وصفها في الجزء الماضي. والادهان تطلق على دهن اللحم وزبدة اللبن وزيت الزيتون وزيت الحبوب. والكربوهيدرانات تطلق على السكر والنشا والمواد الخشبيّة. والمواد المجادية تطلق على الملح (كلوريد الصوديوم) ونصفات الكلس

واما الماء الذي في اللحوم والخضر وبقية اصناف الاطعمة فهو مثل ماء المطر وماء الينابيع وهو لازم للغذاء وان كان غير مغذٍ بنفسهِ. وهاك قائمة العناصر الكيماوية الموجودة في كلٍّ من البروتاين والادهان والكربوهيدرانات